مجلة عيون المسائل
Oyunul-Mesail Journal
العدد 7 مجلد 4 – 2025 / 09 /30
https://doi.org/10.5281/zenodo.17236849

البلاغة الصوتية وأثرها في الاستجابة القلبية لنصوص القرآنية

Phonetic Rhetoric And İts İmpact on the Heart Response to Quranic Texts

صفية السيد محمد السيد
Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi
safiaelsayed455@gmail.com

Dr. Öğr. Üyesi İrfan Kaya
Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi
irfan.kaya@bilecik.edu.tr
Orcid:0000-0002-6169-2202

ملخص

يتناول هذا البحث دور البلاغة الصوتية في القرآن الكريم وتأثيرها العاطفي والروحي على المستمع والقارئ. فالقرآن الكريم يتميز بإيقاعه الصوتي وتنغيمه الفريد، مما يجعله خطابًا إلهيًا مؤثرًا يخاطب الوجدان والعقل في آنٍ واحد. يركز البحث على دراسة الظواهر الصوتية كالتماثل الصوتي، والإيقاع، والتنغيم، والفواصل القرآنية، وكيف تسهم هذه العوامل في إحداث التأثير النفسي والروحي العميق في القلوب. كما يتم استعراض تطبيقات عملية لهذه الدراسة في مجال تلاوة القرآن، وتعليمه، والخطابة الدينية، تسعى هذه الدراسة إلى دراسة بلاغة الصوت في القرآن الكريم وأثرها في استجابة القلب، منطلقةً من إيمان عميق بأن للظواهر الصوتية دورًا محوريًا في تحقيق مقاصد البيان القرآني، ليس على مستوى الإفهام العقلي فحسب، بل على مستوى التأثير العاطفي والوجداني أيضًا. وقد ركزت الدراسة على تحليل البنية الصوتية للنص القرآني من خلال تتبع ظواهر مثل الجناس، والسجع، والتكرار، والتصريع، والإيقاع الداخلي، موضحةً كيف تتكامل الأصوات وتتناغم لإنتاج أثر نفسي مباشر في قلوب السامعين. اشتمل البحث على دراسة نظرية لمفهوم بلاغة الصوت، ومكانته في التراث البلاغي العربي، ثم تناولت تحليلًا تطبيقيًا لنماذج قرآنية مختارة، مع الاستفادة من تفسيرات المفسرين القدامى والمعاصرين، وتعليقات البلاغيين واللغويين. اتبعت عدة مناهج علمية، أبرزها المنهج البلاغي، والمنهج الصوتي التحليلي، والمنهج النفسي التفسيري، مما أتاح تقديم دراسة متكاملة تجمع بين الجانب النظري والتطبيقي. وقد خلصت الدراسة إلى أن بلاغة الصوت تمثل أحد أسرار الإعجاز القرآني، حيث تعمل الأصوات بتآلفها وتناسقها كوسيلة خفية عميقة التأثير، تهيئ القلب لاستقبال الهداية والتأثر برسالة القرآن.

الكلمات المفتاحية :البلاغة الصوتية، الإيقاع القرآني، الفواصل القرآنية، التأثير النفسي، التنغيم الصوتي، علم الأصوات.

Abstract

This research deals with the role of phonetic rhetoric in the Holy Qur'an and its emotional and spiritual impact on the listener and reader. The Holy Qur'an is characterised by its unique rhythm and phonetic structure. This is due to the fact that it is a divine address to the heart and mind at the same time. The research focuses on the study of acoustic phenomena such as sound symmetry, rhythm, intonation and Qur'anic intervals, and how these factors contribute to the profound psychological and spiritual impact on the heart. This study aims to examine the rhetoric of sound in the Holy Qur'an and its impact on the heart, based on the deep belief that sound phenomena play an important role in achieving the goals of Qur'anic expression, not only at the level of intellectual understanding, but also at the level of sensory and emotional impact. The study focuses on analysing the acoustic structure of the Qur'anic text by tracing phenomena such as pun, repetition, repetition, seci', tasri' and intrinsic rhythm, which show how sounds integrate and harmonise to produce a direct psychological impact on the hearts of listeners. The research includes a theoretical study of the concept of sound rhetoric and its place in the Arabic rhetorical heritage, followed by an applied analysis of selected Qur'anic examples, drawing on the interpretations of classical and contemporary commentators, rhetoricians and linguists. He has also sought to relate acoustic data to psychological analysis in order to highlight how the Qur'anic voice contributes to inspiring reverence, submission and faith in the heart. He follows various scientific approaches, in particular the rhetorical approach, the analytical phonetic approach and the interpretive psychological approach, allowing for an integrated study that combines theoretical and applied aspects. The study concludes that the eloquence of the voice is one of the secrets of the miracle of the Qur'an, as the sounds work in harmony as a subtle and profound tool to prepare the heart to receive guidance and be moved by the Qur'anic message.

Keywords: Arabic Language and Rhetoric, Qur'anic rhythm, Qur'anic fâsılas, Psychological effect, Phonetic intonation, Phonetics.

المقدمة

يُعَدُّ القرآن الكريم أعظم نص لغوي في البلاغة والفصاحة، إذ يحمل في ألفاظه وإيقاعه الصوتي تأثيرًا بليغًا على القلوب والعقول. وقد أُعجِزَ العرب بفصاحته وجمال تركيبه، مما جعله معجزًا في بيانه، سواء من حيث اختيار الألفاظ أو ترتيب الجمل أو التنغيم الصوتي الذي يترك أثرًا عميقًا في النفوس .إن الصوت في القرآن ليس مجرد أداة إيصال للمعاني، بل هو عنصر بلاغي مؤثر يسهم في إيصال الرسالة الإلهية بأسلوب يجعل القارئ أو المستمع يشعر بهيبة النص، وروعته، وتأثيره الروحي. ومن هنا، تتجلى أهمية دراسة الظواهر الصوتية في القرآن الكريم، وفهم أثرها على استجابة القلب، مما يجعل هذا البحث محاولة لفهم هذه العلاقة العميقة بين البلاغة الصوتية والتأثير الروحي للنص القرآني.

المبحث الأول: مفهوم البلاغة الصوتية وأهميتها في القرآن

البلاغة الصوتية هي فرع من فروع البلاغة يعتني بدراسة الأصوات اللغوية ودورها في التأثير على المتلقي، سواء من حيث الانسجام، أو الإيقاع، أو التناسق بين الحروف والكلمات. يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

"الصوت عنصر أساسي في التعبير اللغوي، بل هو الوسيلة الأولى التي تصل بها المعاني إلى النفوس، ومن هنا كان للصوت أهمية بلاغية لا يمكن إغفالها".[1]

وفي سياق القرآن الكريم، تتجلى البلاغة الصوتية في اختيار الحروف المناسبة، وتكرار الأصوات، وإيقاع الكلمات، بما يخلق تأثيرًا وجدانيًا بالغ العمق في السامع

تحقيق الإيقاع والتناسق الصوتي:

يساعد التناسق بين الأصوات على خلق تناغم موسيقي يؤثر في القلب، كما في قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} (النازعات: 1-3) .نلاحظ هنا تكرار الأصوات الصفيرية (س، ش، ص) التي تعكس السرعة والخفة في الحركات المذكورة، وهذا يُظهر فهماً عميقًا للعلاقة بين الصوت والدلالة في القرآن، وهذا من أروع ما يكون في القران الكريم.

ونجد هنا في الآيات توظيف الحروف الصفيرية مثل السين والشين والصاد، وهي حروف تتّسم بحدة الصوت واستمراريته، مما ينسجم مع تصوير أهوال يوم القيامة وما فيه من اضطراب وشدة. وأري إن توالي هذه الأصوات في سياق الحديث عن مشهد النزع والغرق يوحي بحالة من الصخب والفزع، ويُحدث وقْعًا سمعيًّا قويًّا في أذن المتلقي، فيُسهم في رسم صورة ذهنية حية عن ذلك اليوم العظيم. ويظهر هنا الدقة الصوتية في اختيار الحروف تمثل بعدًا من أبعاد البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، إذ تُسخَّر الأصوات لتخدم المعنى وتعزّز التأثير الوجداني في نفس السامع.

إبراز المعاني وتقويتها:

من خلال اختيار الأصوات الملائمة لمعاني الكلمات، كما في قوله تعالى:{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} (الحج 1) تكرار حرف الزاي يوحي بشدة الاضطراب والخوف الناتج عن الزلزلة، ربط حرف الزاي بالاهتزاز يعطي تحليلًا صوتيًا موفقًا، ويبرز البعد البلاغي غير الظاهر في مجرد المعنى.

ويُلحَظ في سورة الحج أيضًا تكرار صوت الزاي، وهو من الحروف التي تتسم بالاهتزاز والصفير، مما يُحدث وقعًا صوتيًّا يتناسب مع مشهد الاضطراب الكوني، وكأنّه يُحدث في أذن السامع رجَّة أو زلزلة تتكرر، على نحو يُحاكي فعل الزلزال في الواقع. وهذا التكرار الصوتي لا يأتي عبثًا، بل هو جزء من البنية الإيقاعية للسورة، يعمّق الإحساس بهول ما يُصوَّره النص.

إثارة المشاعر والتأثير الوجداني:

[1] إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية، (مصر: مطبعة نهضة مصر،1975م)، 112.

فالصوت في القرآن ليس مجرد وسيلة توصيل، بل هو جزء من المعنى ذاته ،آراء العلماء والمفسرين في أهمية الصوت القرآني، يقول الفخر الرازي: "إن للأصوات سلطانًا على القلوب، إذ بها تتجلى معاني الكلام، فيحصل للسامع إدراك لا يكون بالمعنى المجرد وحده."[1] ويضيف ابن جني: "الأصوات القرآنية لها من التأثير ما لا يُنكر، لأنها مختارة بعناية، وموزونة بإعجاز."[2]

ونرى هنا في هذا الأثر لا يمكن حصره في المعنى المعجمي للكلمات فقط، بل يتجاوز ذلك إلى المستوى الصوتي الدقيق، وهو ما يُبرز الفارق بين النص القرآني وغيره من النصوص كالشعر أو النثر؛ إذ إن القرآن يُحسن توظيف الحرف الواحد ليكون حاملًا لمعنى وجزءًا من التأثير البلاغي الكلي للنص.

المبحث الثاني: الظواهر الصوتية في القرآن وتأثيرها على استجابة القلب.

التكرار الصوتي وأثره البلاغي في القرآن.

يُعَدُّ التكرار الصوتي أحد أبرز الظواهر البلاغية في القرآن الكريم، حيث يُستخدم بأساليب متعددة لإحداث تأثير نفسي وروحي على المستمع والقارئ. وينقسم التكرار إلى أنواع مختلفة، منها تكرار الحروف، والكلمات، والتراكيب، وكل نوع يحمل دلالاته الخاصة التي تؤثر في المتلقي

أولًا: تكرار الحروف وأثره على القلب التكرار الصوتي للحروف في القرآن الكريم ليس مجرد تكرار لفظي، بل هو أسلوب بلاغي يحمل دلالات نفسية وروحية عميقة. فمثلاً، يقول الله تعالى : (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) [الفجر: 21]

نلاحظ هنا تكرار كلمة "دكًّا"، الذي يعزز الإحساس بقوة الزلزلة وشدتها، مما يترك أثرًا نفسيًا عميقًا في القارئ والسامع .وقد ذكر سيد قطب أن التكرار في هذه الآية يدل على التوكيد والمبالغة في تصوير الحدث، بحيث يشعر السامع وكأنه يشاهده بعينه.[3]

ثانيا: تكرار الكلمات وأثره في التأثير العاطفي في بعض المواضع، تتكرر الكلمات القرآنية بهدف إحداث وقع خاص في القلب. ومن ذلك قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [الرحمن: 13]

تكررت هذه الآية في سورة الرحمن (31 مرة)، مما يرسّخ في ذهن المستمع أهمية النعم الإلهية التي يُذكَّر بها، ويثير في قلبه الخشوع والامتنان

[1] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي خطيب الري، التفسير الكبير،(دار الفكر –دمشق،سوريا،1401هـ،1981م)، 88/1.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ت: محمد علي النجار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب،2006)، 142/2.

[3] سيد قطب بن إبراهيم بن حسين الشاذلي، في ظلال القران، (دار الشروق- بيروت،2011)، 4580/30.

ويلاحظ هنا أن هذا التكرار يحمل نغمة خطابية مؤثرة تحاكي أسلوب الإنذار والترغيب في آنٍ واحد ويمكن ان تكون تكرار لتعدد المتعلق، مما يجعل القلب أكثر استجابة وتأثرًا [1].ويتّضح من هذا المقطع مدى العناية التي يوليها النص القرآني للتكرار الصوتي بوصفه أداة بلاغية تسهم في تعميق الأثر النفسي والوجداني في نفس المتلقي.

وأرى هنا إلى أن تكرار الكلمات والحروف في سياقات قرآنية معينة لا يُعد مجرد تكرار لفظي، بل هو توظيف مقصود يخدم غرضًا دلاليًا وإيقاعيًا، يُفضي إلى ترسيخ المعنى في الذهن، ويُحدث حالة من التوتر أو الطمأنينة بحسب المقام.

ثالثًا: التكرار في التراكيب وتأثيره الموسيقي التكرار لا يقتصر على الكلمات، بل يمتد إلى التراكيب القرآنية، مما يضفي إيقاعًا موسيقيًا يؤثر في السامع. ومن ذلك قوله تعالى: (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) [النبأ: 5]

حيث جاء التكرار هنا ليؤكد التهديد والوعيد، مما يجعل القارئ يعيش حالة من الترقب والخوف من العقاب المذكور في الآية.

إن التكرار الصوتي في القرآن الكريم لا يُقصد به الحشو أو الزينة البلاغية المجردة، بل هو أسلوب رباني دقيق يُستخدم بحكمة ليؤثر في الأعماق، ويُرَسِّخ المعاني، ويُوقظ القلوب. وهو يجمع بين الوظيفة البلاغية (نقل المعنى)، والتأثير العاطفي (تحريك المشاعر)، والتناسق الصوتي (جمالية الإيقاع)، مما يجعل القرآن معجزًا في لغته، كما هو معجز في معناه.

الجناس الصوتي في القرآن وتأثيره على استجابة القلب.

مفهوم الجناس في القرآن وأثره البلاغي.

ويسمّيه بعضهم التّجنيس، وهو أن يتشابه اللّفظان في نطقهما، ويختلفان في المعنى، مثال على الجناس:

دارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ، وَأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أَرْضِهِمْ، وَحَيِّهِمْ ما دُمْتَ في حَيِّهِمْ.[2]

الجناس هو أحد الأساليب البلاغية التي تقوم على التشابه اللفظي بين كلمتين مع اختلاف المعنى، وهو يُستخدم في القرآن الكريم لإحداث تأثير موسيقي وإيقاعي يُعزز المعنى ويؤثر في النفس البشرية. ويُعد الجناس من العناصر الصوتية المهمة التي تُحدث انسجامًا في النص، مما يجذب انتباه المستمع ويُرسّخ المعاني في القلب.

أنواع الجناس في القرآن الكريم الجناس التام وأثره العاطفي

يكون الجناس تامًا عندما تتشابه الكلمتان في الحروف والحركات، لكن تختلفان في المعنى. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) [الروم: 55] في هذه الآية، نجد جناسًا تامًا بين "الساعة" (القيامة) و"ساعة"

[1] أسامة بن الزهراء وآخرون، التكرار في النص القرآني،(مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية) 18/ ع94، 1426هـ/2005م،ص394

[2] إسلام داود احمد، البلاغة والتصوير الفني في شعر وليد الاعظمي، بيلجيك، جامعة الشيخ اديب علي، رسالة ماجستير 2024م،26.

(فترة زمنية قصيرة)، وهذا التلاعب الصوتي يثير الانتباه ويُعزز من التأثير النفسي للآية، حيث يشعر القارئ بتناقض الموقف بين شدة القيامة وقصر الدنيا، مما يجعل القلب أكثر إدراكًا لحقيقة الفناء.[1]

الجناس الناقص وتأثيره الموسيقي:

في الجناس الناقص، يكون هناك تشابه بين الكلمتين في بعض الحروف دون تطابق كامل. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) [الحديد: 13] هنا نجد جناسًا ناقصًا بين "انظرونا" و"ارجعوا"، حيث يتشابه اللفظان في بعض الحروف، لكن الفرق الطفيف بينهما يُحدث تباينًا في المعنى، مما يُضفي على الآية وقعًا موسيقيًا يُشدّد على مشهد الحيرة والندم الذي يعيشه المنافقون يوم القيامة.

الأثر النفسي للجناس في القرآن

يؤدي الجناس في القرآن الكريم دورًا مهمًا في إثارة انتباه السامع وتحفيز استجابته العاطفية. فمن خلال التشابه الصوتي بين الكلمات، يُنشئ القرآن إيقاعًا يُعزز الرسالة ويجعلها أكثر تأثيرًا في القلب .على سبيل المثال، في قوله تعالى: (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) [القيامة: 7-9]

نلاحظ جناسًا بين "القمر" و"القمر"، حيث ذُكرت الكلمة نفسها مرتين ولكن بمعنيين مختلفين؛ الأول كجرم سماوي، والثاني كحدث زمني عندما يُظلم القمر. وهذا التكرار الصوتي يُعطي الآية إيقاعًا مهيبًا يُثير الخشوع في القلوب.

يُعدّ الجناس بنوعيه التام والناقص من الظواهر الأسلوبية ذات الأثر العميق في بنية الخطاب القرآني، إذ لا يأتي على سبيل التزيين اللفظي، بل يتجاوز ذلك إلى وظيفة دلالية وصوتية تتكامل مع السياق المعنوي والوجداني للنص. فالجناس التام، القائم على تماثل اللفظين في الصورة الصوتية واختلافهما في الدلالة المعجمية، يُحدث تشاكلًا صوتيًا يؤدي إلى تكثيف المعنى وتأكيده، ويُسهم في إحداث ضرب من الإيقاع الداخلي الذي يعزّز الجانب السمعي في التلقي. ومن أمثلته الدقيقة قوله تعالى:

"ويوم تقوم الساعة يُبلس المجرمون. ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين" (الروم: 12–13)،

حيث تكرار الجذر الصوتي مع اختلاف المقصود يرسّخ في ذهن المتلقي انقطاع الرجاء عند قيام الساعة، ويدعم الصورة السمعية بانسجام تام مع الموقف التصويري.

أما الجناس الناقص، الذي يقوم على نوع من التقارب الصوتي مع تباين جزئي في البنية (إما في حرف، أو ترتيب، أو حركة)، فإن أهميته تظهر في تنويع الإيقاع دون كسر الانسجام العام للسياق، وهو ما يمنح النص بُعدًا موسيقيًّا متجدّدًا يُثري عملية

[1] الجلال السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القران، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم،(الهيئه المصرية العامة للكتاب 1974م)، 310/3.

التلقي. ومن أمثلته قوله تعالى: "وتحسبهم أيقاظًا وهم رُقود" (الكهف: 18)، حيث يظهر التقابل الصوتي بين "أيقاظًا" و"رقود" على الرغم من اختلاف الجذر، مما يُحدِث تموّجًا صوتيًّا يتناغم مع الموقف التصويري لأهل الكهف ويُعمّق الأثر الوجداني للنوم الطويل المقرون بالهيبة والخوف.

وأري هنا أن أهمية الجناس في القرآن ليس مجرد التكرار الصوتي، بل من كونه أداة من أدوات النظم القرآني، يُسهم في توليد التناسب بين المعنى والمبنى، ويُفعّل الأداء الصوتي بما يخدم المقاصد البلاغية والتربوية. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الوظيفة في دلائل الإعجاز حين أكّد فيما معناه أن الجمال في الكلام لا يتحقق من التشابه اللفظي المجرد، بل من التناسب الذي ينشأ بين الألفاظ ومعانيها في السياق، وهو ما تجلّى بوضوح في الاستخدام القرآني للجناس. وبذلك، فإن الجناس في القرآن الكريم لا يُفهم بوصفه ترفًا بلاغيًا، بل يُنظر إليه من زاوية البنية الصوتية الوظيفية التي تُسهم في تشكيل الأثر الكلي للآية، من خلال توليد نغم صوتي متّسق يعضد المعنى، ويُحدث في النفس صدى يربط بين الإدراك السمعي والوجداني في آنٍ واحد.

المبحث الثالث: الإيقاع الصوتي في القرآن وتأثيره على استجابة القلب.

مفهوم الإيقاع الصوتي في القرآن.

تعريف الإيقاع الصوتي وأهميته البلاغية

الإيقاع الصوتي في القرآن هو التناسق الموسيقي الذي ينشأ من توالي الأصوات والكلمات والجمل بطريقة تُحدث تأثيرًا سمعيًا خاصًا في المستمع. ويُعتبر الإيقاع الصوتي من أبرز أدوات التأثير في القرآن، حيث يساعد على ترسيخ المعاني وإثارة المشاعر الروحية، مما يجعل القلب أكثر خشوعًا وتدبرًا

الإيقاع الداخلي: توازن الحروف والمقاطع يظهر الإيقاع الداخلي في القرآن من خلال توزيع الحروف والمقاطع الصوتية بطريقة تحدث انسجامًا في الأذن والقلب. ومن أبرز الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) [الزلزلة: 2]

نلاحظ أن الكلمات هنا قصيرة ومتوازنة، وتعتمد على تكرار الأصوات ذات الوقع الشديد مثل "ز" و**"ل"**، مما يخلق إحساسًا بالاضطراب الذي يتناسب مع مشهد الزلزلة .أن هذا النوع من التناسق الصوتي يُحدث تفاعلًا وجدانيًا بين السامع والنص، مما يجعله أكثر تأثرًا بالمضمون [1].

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، الحمد غانم قدوري، (دار عمار للنشر والتوزيع،2007م)، 128.

ويشير سيد قطب في تحليل النصوص القرآنية في كتبه، مستخدما مصطلح الجرس (وهو الصوت الشديد)، وهو يربط الإيقاع الموسيقي للألفاظ بالمعنى المراد، والحالة النفسية، والجوّ العام للسياق، وهذا منهج سليم، لأن الإيقاع الموسيقي في القرآن لم يقصد لذاته، لمجرد التنغيم. والإطراب بهذه النبرات الصوتية المنغّمة، بل هو وسيلة لتصوير المعاني الدينية[1]

الإيقاع الخارجي: التناسق بين الفواصل القرآنية يُقصد بالإيقاع الخارجي التناسق الموسيقي بين نهايات الآيات، وهو ما يُعرف بالفاصلة القرآنية. مثال على ذلك :(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) [الليل: 7]

نلاحظ هنا أن الفواصل القرآنية تنتهي بحروف مد طويلة ("ى")، مما يخلق إيقاعًا لطيفًا يُريح الأذن ويُسهّل الحفظ والاستيعاب.

الأثر النفسي للإيقاع الصوتي في القرآن.

تُعدّ الفاصلة القرآنية من الظواهر الأسلوبية المتميّزة التي تُسهم في تشكيل البنية الصوتية للنص القرآني، إذ تتجاوز وظيفتها الإيقاعية الظاهرة إلى أداء نفسي ووجداني بالغ التأثير. فالفاصلة من حيث انتظامها الصوتي وتكرارها المقصود تُحدث ضربًا من التوقيع السمعي الذي يُمهّد لانطباع وجداني متجدد عند كل ختمة لفظية، مما يجعل المتلقي في حالة ترقّب واستعداد دائمين لتلقّي الدلالة.

وتكمن القيمة النفسية للفاصلة في كونها تُسهم في تثبيت المعاني في الذهن من خلال خاصية "التوقّع الصوتي"، حيث تخلق في المتلقي إيقاعًا داخليًا يُلازمه طوال السياق، فتصبح كل فاصلة بمثابة نبضة صوتية تُحاكي نبض الوجدان. وهذا ما نجده — على سبيل المثال — في سورة المرسلات، حيث تكرار الفاصلة: "ويل يومئذٍ للمكذّبين"، يُولّد أثرًا نفسيًّا تصاعديًا يُغذّيه إيقاع التهديد، ويُعمّق في النفس مشاعر الخوف والتوجّس، فلا يكون وقع المعنى منفصلًا عن الأداء الصوتي بل نابعًا منه. يلعب الإيقاع الصوتي دورًا حاسمًا في التأثير على مشاعر المستمع، حيث يساعد على تعزيز الخشوع عندما يكون الإيقاع هادئًا ومنسجمًا، يشعر القارئ بالطمأنينة، كما في سورة الرحمن التي تعتمد على التكرار والإيقاع الرتيب.

إثارة الرهبة والخوف، بعض السور، مثل سورة القارعة، تستخدم إيقاعًا سريعًا ومُتقلبًا، مما يعكس أهوال يوم القيامة.

ترسيخ المعاني: التناسق الموسيقي يُسهم في حفظ الآيات بسهولة، كما هو الحال في الفواصل المتشابهة في سورة المرسلات ("وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ").

ويتضح هنا أن الفاصلة ليست مجرد أداة إيقاعية، بل تُمثل نهاية طبيعية للفكرة أو المقطع، وغالبًا ما تأتي حاملة للمعنى المحوري أو الخلاصة الانفعالية للمشهد القرآني، مما يمنحها ثقلاً نفسيًّا ودلاليًّا. وتُشير الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن تكرار النهايات

[1] وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، (فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب،2001م)، 393

الصوتية بنغمة ثابتة يُسهم في تحفيز الجهاز العصبي على التفاعل مع الحدث المروي، خصوصًا عندما تقترن هذه النهايات بمعانٍ تتعلق بالخوف، أو الرجاء، أو الإنذار.

وللفاصلة أيضًا أثر في ضبط النسق العاطفي داخل السورة، إذ تُسهم في توجيه المشاعر والانفعالات عبر إيقاعها المتوازن أو المتفاوت بحسب المقام. ففي المقاطع التي تتناول الرحمة أو النعمة، تأتي الفاصلة غالبًا لينة الحروف، رقيقة الجرس، كما في قوله تعالى: "وجنّاتٍ وعيونًا"، أما في مواضع التهديد والعقاب فتغلب عليها الأصوات الحادة والقوية، مما يُحدث توترًا نفسيًّا يُناسب الموقف.

وبهذا، فإن الفاصلة القرآنية تتجاوز مفهوم "القافية" في النظم الشعري، لتصبح أداة تأثير وجداني متكاملة، تُفعّل الوظيفة البلاغية للنص، وتربط بين البنية الصوتية والمعنى العقائدي، مُحدثة أثرًا نفسيًّا خاصًّا لا يتأتّى بمثل هذه القوة في سائر الكلام البشري.

التنغيم الصوتي في القرآن وتأثيره على استجابة القلب

تعريف التنغيم وأهميته البلاغية

التنغيم الصوتي هو التفاوت في ارتفاع وانخفاض نبرة الصوت أثناء التلاوة، وهو يُحدث تناغمًا سمعيًا يُساهم في إيصال المعنى بطريقة مؤثرة. يُستخدم التنغيم في القرآن الكريم لتمييز المعاني المختلفة، مثل الاستفهام، والتعجب، والتحذير، والإنذار، مما يجعل النص أكثر تأثيرًا في القلب والعقل. وجاء في لسان العرب لابن منظور: النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، النغم الكلام الخفي والنغمة الكلام الحسن، وسكت فلان فما نغم[1]

أنواع التنغيم في القرآن وأثره النفسي

يُعدّ التنغيم من الظواهر الصوتية الدقيقة التي تسهم في إضفاء الحياة على النص القرآني، إذ يتجاوز كونه مجرد ارتفاع وانخفاض في طبقات الصوت إلى كونه أداة دلالية وانفعالية تُوجّه التلقي وتُضبط بها مقاصد الكلام. فالتنغيم القرآني لا يُقرأ وفق النحو الصوتي المجرد، بل يتشكّل ضمن بنية شعورية تحكمها المقامات والمعاني، فيأتي التنغيم ليُترجم الحالة النفسية للنص، سواء أكانت تهديدًا، أو طمأنينة، أو عتابًا، أو بشارة.

ومن الناحية النفسية، يُسهم التنغيم في تحديد نغمة الخطاب، ويُحدِث تواصلاً وجدانيًّا مباشرًا بين النص والمتلقي، حيث إن التغيّر في نبرة الصوت، ومدّ الكلمات أو اختزالها، والصعود والانخفاض في الأداء الصوتي، يخلق تفاعلًا تلقائيًّا لدى السامع، إذ تنجذب النفس لا شعوريًّا إلى الموسيقى الداخلية في الآيات. وهذا ما يجعل القارئ المجوّد عند حسن الأداء لا يُؤثّر في عقل المستمع فحسب، بل ينفذ إلى وجدانه، فتتجاوب مشاعره مع معاني النص القرآني عبر النغم قبل أن يتدبّر الألفاظ نفسها.

[1] محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي، لسان العرب، (دار صادر بيروت، 1993م)، 590/12

ويُظهر القرآن تنغيمًا فطريًّا منسجمًا مع موضوع الآية، ففي آيات العذاب والوعيد يتجه الأداء إلى الحدة والغلظة والتقطيع الصوتي، كما في قوله تعالى: "خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ" (الحاقة: 30–31)، إذ يُلاحظ أن القارئ يميل فطريًّا إلى النبر المرتفع، ووتيرة التهديد في الصوت، بما يُحدث أثرًا من الرهبة والرعب النفسي. وعلى النقيض من ذلك، تأتي آيات الرحمة بأسلوب ينساب فيه التنغيم بلطف وهدوء، كما في قوله تعالى:

"سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ" (يس: 58)، حيث ينسجم الأداء الصوتي الهادئ مع مضمون الرحمة، فيبعث في النفس طمأنينة وسكينة.

التنغيم في آيات الإنذار والتهديد يتميز هذا النوع من التنغيم بحدة الصوت وقوته، مما يُثير مشاعر الخوف والرهبة. مثال على ذلك قوله تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) [ق: 30]

التنغيم هنا يُبرز رعب المشهد، حيث يبدو وكأن جهنم تنطق بلسان حالها تطلب المزيد، مما يُثير الخوف في قلب السامع.

التنغيم في آيات الرحمة والتبشير في هذا النوع، يكون الصوت أكثر هدوءًا وانسيابية، مما يُحدث شعورًا بالراحة والسكينة. مثال على ذلك: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [القيامة: 22–23] التنغيم هنا يعكس حالة الفرح والسرور، مما يُشعر المستمع بالطمأنينة والأمل في رحمة الله.

التنغيم في آيات الاستفهام والتعجب يُستخدم التنغيم هنا لإبراز الدهشة أو التأكيد على أمرٍ عظيم، كما في قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) [النبأ: 7] نبرة التلاوة في هذه الآيات تأخذ منحنى تصاعديًا عند السؤال، ثم تنخفض عند الإجابة، مما يُضفي على الآيات وقعًا خاصًا يُثير التفكير والتدبر

وتُشير دراسات علم النفس الصوتي إلى أن التنغيم يُعدّ من أهم أدوات "الإقناع العاطفي"، إذ يمكنه توجيه شعور المتلقي نحو ما يريد المتكلم إبرازه من انفعال. وفي هذا الإطار، يُعدّ التنغيم القرآني أعلى درجات البلاغة الصوتية، إذ يجمع بين الجرس اللفظي والمعنى المقصود والأثر النفسي في نسق واحد محكم، تُستثار فيه المشاعر وفق سنن بيانية لا تتوفر في أي خطاب آخر.

ومن ثم يتضح لنا أن التنغيم في القرآن الكريم ليس مجرد عنصر تجميلي، بل هو بُنية إيقاعية شعورية، تُسهم في بلورة الرسالة العقدية للنص، وتُفعّل تأثيره العميق في النفس، وتجعل من تلاوته فعلًا سمعيًّا روحيًّا يتجاوز حدود اللغة إلى أفق التجربة الإيمانية الحيّة.

العلاقة بين التنغيم وتأثير القرآن على القلب

يلعب التنغيم دورًا أساسيًا في إيصال المشاعر المرتبطة بالمعاني المختلفة، حيث يُسهم في تعميق الشعور بالخشوع، إذ أن التغيير في النبرات يُساعد في استحضار المشهد القرآني وكأنه يحدث أمام المستمع و إثارة التفاعل العاطفي، فتلاوة آيات العذاب

بصوت قوي وحاد تجعل القلب أكثر خشية، بينما تلاوة آيات الرحمة بصوت ناعم تُشعر المستمع بالسكينة. تسهيل الحفظ والتدبر، حيث يجعل التنغيم التلاوة أكثر جاذبية، مما يساعد في ترسيخ المعاني في الذاكرة.

المبحث الرابع: تأثير مخارج الحروف وصفاتها على استجابة القلب في القرآن

دور مخارج الحروف في التأثير البلاغي للقرآن

تعريف مخارج الحروف وأهميتها في التلاوة

مخارج الحروف هي المواضع التي تخرج منها الأصوات أثناء النطق، وهي تُؤثر في جمالية التلاوة وفهم المعاني في القرآن الكريم. يُقسم علماء التجويد المخارج إلى خمسة رئيسية: الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم. ويُساعد التوزيع المتناسق لهذه المخارج في خلق تنوع صوتي يُؤثر على استجابة القلب أثناء التلاوة .

تتميز الحروف الحلقية (ء، هـ، ع، ح، غ، خ) بأنها تخرج من عمق الحلق، مما يمنحها طابعًا خاصًا في الآيات التي تتحدث عن العظمة أو التهديد. مثال على ذلك: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) [البروج: 12] حرف "ط" في "بطش" وحرف "ش" في "شديد" يعطيان إحساسًا بالقوة اما الحروف الشديدة، وهي مجموعة حروف "أجد قط بكت"، تمتاز بقوتها ووضوحها نتيجة لانغلاق المخرج تمامًا عند نطقها، مما يمنح الكلمة التي ترد فيها وقعًا خاصًا ونغمة قوية تُضفي عليها طابعًا من التأكيد والصلابة والرهبة، مما يُثير الخوف والخشوع في القلب. مثال على ذلك :(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) [الأنفال: 17]حرف "ت" في "رميت" يُضفي إحساسًا بالقوة والحسم، مما يعزز المعنى البلاغي للآية.

الحروف المرققة والمفخمة: التوازن بين اللين والقوة التفخيم والترقيق يؤثران على النغمة الصوتية، مما يجعل الآيات تتنوع بين اللين والقوة. فمثلاً :(الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) [الفاتحة: 2] حرف "ر" المفخم في "الرحمن" يُظهر الجلال، بينما حرف "ي" المرقق في "الرحيم" يُضفي إحساسًا باللطف والرحمة.

العلاقة بين مخارج الحروف واستجابة القلب يُساعد تنوع مخارج الحروف في القرآن على :

تُسهم الحروف الشديدة والمرققة في إثارة مشاعر متنوعة، حيث تُوظف الحروف الشديدة في آيات العقاب لإبراز قوتها وشدتها، في حين تُستخدم الحروف المرققة في آيات الرحمة لتعميق الإحساس بالسكينة والطمأنينة. كما يُسهم التنوع في مخارج الحروف في إضفاء إيقاع صوتي متناغم يؤثر في النفس ويُعزز التفاعل مع النص. وإلى جانب ذلك، يساعد التوزيع الصوتي المتناسق في ترسيخ المعاني في القلب والعقل، مما يُسهّل الحفظ ويُعمّق الفهم والاستيعاب.

التناسق الصوتي بين الآيات والسور وتأثيره على استجابة القلب

تعريف التناسق الصوتي وأهميته البلاغية

التناسق الصوتي في القرآن هو الانسجام بين الأصوات، الكلمات، والجمل عبر الآيات والسور، مما يُحدث إيقاعًا موسيقيًا يُعزز من وقع النص على المستمع. ويُعد التناسق الصوتي من الأساليب البلاغية التي تُساهم في تحسين التلقي، إذ يُساعد في إيصال المعاني بسهولة ويجعل التلاوة أكثر تأثيرًا

عناصر التناسق الصوتي في القرآن

تناسق الفواصل القرآنية الفواصل القرآنية هي نهايات الآيات التي تخلق انسجامًا سمعيًا مميزًا. مثال على ذلك : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) [البروج: 3] نجد أن نهايات الآيات تنتهي بحرف "د"، مما يُعزز التناسق الصوتي ويُعطي السورة إيقاعًا ثابتًا يُسهل الحفظ والاستيعاب.

التناغم بين المقاطع الصوتية في السور بعض السور تعتمد على توزيع متناسق للأصوات، مثل سورة الكوثر: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) نجد أن جميع الآيات تنتهي بصوت الراء "ر"، مما يمنح السورة طابعًا موسيقيًا مميزًا يُرسخ المعنى في الذهن التناسق الصوتي بين بدايات ونهايات السور بعض السور تبدأ وتنتهي بإيقاع صوتي متشابه، مثل سورة القارعة: (الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ)

أثر التناسق الصوتي على استجابة القلب

يُعد التناسق الصوتي من العوامل المؤثرة في استجابة القلب وتفاعله مع النص، إذ يُسهّل عملية التلقي ويزيد من قدرة المتلقي على التأمل والتدبر. هذا الانسجام في الأصوات يُعزز الشعور بالخشوع والتأثر العاطفي، لا سيما عند تكرار الإيقاع في بعض السور، مما يُضفي طابعًا روحيًا عميقًا. كما يُسهم التناسق الصوتي في تثبيت الآيات في الذاكرة، فيُسهّل الحفظ ويُعين على التدبر والفهم العميق لمعاني النص القرآني.

المبحث الثالث: دور الأداء الصوتي في تأثير القرآن على القلوب

مفهوم الأداء الصوتي في التلاوة القرآنية.

تعريف الأداء الصوتي وأهميته في التلاوة

الأداء الصوتي في التلاوة هو كيفية نطق الحروف والكلمات والآيات وفقًا لأحكام التجويد، مع مراعاة التنغيم والتوقّف المناسب، مما يُساعد في إيصال المعاني بأفضل شكلٍ ممكن. يؤثر الأداء الصوتي في مدى تأثّر القلب بالقرآن، حيث يُسهم في خلق تجربة روحانية عميقة للمستمع.

عناصر الأداء الصوتي في التلاوة القرآنية

تُعد المدود في التلاوة القرآنية وسيلة فنية لتعميق التأثير العاطفي، حيث يُستخدم المد لإطالة الصوت بطريقة تثير مشاعر الرهبة والخشوع، كما في قوله تعالى: (وَلَاالضَّآلِّينَ) [الفاتحة: 7]، حيث يُضفي المد في هذه الآية إحساسًا روحانيًا يعمق حضور القلب أثناء الصلاة.

أما الوقف والابتداء، فلهما دور كبير في توضيح المعاني وإبرازها بدقة، إذ إن الوقف في غير موضعه قد يُغيّر الفهم، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) [الأنعام: 36]، فإذا توقف القارئ عند "يسمعون"، قد يتوهم السامع أن الموتى لا يُبعثون أو لا يسمعون، لكن الاستمرار في القراءة يُزيل هذا الالتباس ويُظهر المعنى الكامل بأن الله هو من يُحييهم.

كما أن قوة الصوت وضعفه في التلاوة يتبعان السياق القرآني؛ ففي آيات العذاب والإنذار يُرفع الصوت ليُبرز الشدة والرهبة، كما في قوله تعالى : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) [ق: 30]، في حين يأتي الصوت أكثر هدوءًا ولينًا في آيات الرحمة، مما يُشعر بالسكينة، مثل قوله تعالى: (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ)

أثر بلاغة الصوت في القرآن على القلوب عبر العصور.

لا شك أن الدرس البلاغي يتميز بإظهار أثر مطابقة الصوت للمعاني فنجد ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) يهتم بالحروف وبالناحية الصوتية كمقدمة للحديث عن الفصاحة، فمعرفة مخارج الحروف وصفاتها من الضرورة بمكان لمن يدرس علم الفصاحة والبلاغة؛ لأن الكلام ينتظم منها في إبراز معناه، ومطابقة مقتضاه، يقول في خطبة كتابه : " وذلك أن المتكلمين وإن صنفوا في الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام ما هو، فلم يبينوا مخارج الحروف، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها [1]مما يدل على عناية البلاغيين بالصوت وأهميته في الدرس البلاغي.

ومن خلال الدراسات الصوتية تبين أن التلاؤم والانسجام المنبعث من تألف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل من أبرز خصائص العربية التي تبهر الباحثين؛ ويرجع هذا إلى أمرين: الأول: طبيعة اللغة، فهي عبارة عن أثر سمعي هو : الصوت اللغوي، والأمر الثاني: يتعلق بوظيفة اللغة في التعبير والإفصاح عما في النفس، في إطار يتم داخل نسق اجتماعي.

ومما لا شك فيه أن محاكاة الصوت هي أساس هذا الإعجاز، حيث تلك المحاكاة التي هي: الصورة المجسمة التي ترسمها الكلمة في أذهان المخاطبين، فيحدث ذلك تصويرا بيانيا في كلمات القرآن الكريم يتم بالحركة ويظهر ذلك في مظاهر مختلفة منها:

تأثير القرآن في عهد النبي ﷺ والصحابة

[1] أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، (دار الكتب العلمية، 1982م)،17.

كان القرآن يُتلى بصوتٍ مؤثرٍ يُثير مشاعر السامعين، وقد تأثر به العرب رغم فصاحتهم، ومن الأمثلة على ذلك إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سمع سورة طه، حيث تأثر بصوت التلاوة ومعانيها العميقة،كان للقرآن الكريم الأثر الأكبر في صياغة شخصيات فذّة فريدة لصحابة رسول الله ﷺ، وتصحيح سلوكهم، فكان أثره في صناعة هذا الجيل لا يدانيه أثر، لا سيما وقد كان ينزل عليهم مفرّقاً وفق الأحداث والنوازل المستجدة، فضلاً عن وجود النبي ﷺ معلّما مرشداً لهم بالمنهج القرآني العظيم، فساهم ذلك بولادة شخصيات قرآنية فذّة رأينا أثرها لاحقاً حين فتحوا البلاد وعدلوا بين العباد، وسادوا بين الأمم.[1]

إعجاز القرآن وتأثيره في النفوس.

القرآن الكريم هو كتاب الله، وقد ورد فيه العديد من الآيات التي تحمل إعجازًا لغويًا وتؤثر في النفس البشرية. وتركز العديد من الدراسات على بلاغة القرآن وأسلوبه الذي لا مثيل له، وهو ما يثبت إعجازه أمام تحدي البشرية.

وللقرآن تأثير على مستمعيه يقول الوليد بن المغيرة بعد أن استمع إلى القرآن: "وماذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم مني بالشعر، لا برجزه ولا بقصيدته، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا، و والله إن له الحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مشرق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته". [2]

يقول الباقلاني رحمه الله إن القرآن يتميز بنظم بديع وتأليف عجيب، وهو في غاية البلاغة التي يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها. وهذا الإعجاز لا يقتصر على جانب واحد، بل يشمل عدة وجوه، منها ما يتعلق بالجمل والأسلوب العام للخطاب. فالقرآن، على اختلاف موضوعاته وتنوع أساليبه، قد خرج عن المألوف في نظم كلام العرب، وخالف طريقتهم المعهودة في البيان، فجاء بأسلوب خاص به، لا يشبه ما اعتاده الناس في كلامهم. وهذه الخصوصية في النظم والتراكيب والأسلوب، هي التي جعلت القرآن معجزًا، لا يُضاهى، ولا يُجارى، رغم تحديه الواضح للعرب وهم أهل الفصاحة والبيان.[3]

من الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى تلك الأحاديث التي أمر الرسول ﷺ فيها بتزيين الصوت في قراءة القرآن وتحسينه، والتغني بقراءته، مثل: "زينوا القرآن بأصواتكم" و"ليس منا من لم يتغن بالقرآن" [4]من المهم في هذا المقام أن نُسلّط الضوء على الأحاديث النبوية الشريفة التي حضّ فيها النبي ﷺ على تجميل الصوت عند تلاوة القرآن الكريم، وجعل ذلك من كمال تعظيم كلام الله تعالى وتوقيره. فقد وردت عنه أحاديث صحيحة تدعو إلى تحسين الصوت بالقرآن، لما في ذلك من تأثير في القلب، وتدبّر

---

[1] الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، (مؤسسه الرسالة، بيروت، 1450هـ، 1985م)

[2] الحاكم المستدرك علي الصحيحين كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر علي شرط البخاري للحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1990م) ،ج3، رقم الحديث 3926

[3] ينظر: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، اعجاز القران ،ت السيد أحمد صقر، (د ار المعارف مصر،1374هـ-1954م)،52/51.

[4] اخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب رقم الحديث/52

للمعاني، وإظهار لجمال النظم الإلهي، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ" :زينوا القرآن بأصواتكم"، وهو توجيه صريح إلى أهل الإيمان بأن يُضفوا على التلاوة رونقًا وجمالًا بالصوت الحسن، لأن الصوت الجميل يُكسب المعنى بهاءً ويزيد السامع خشوعًا وتأثرًا.

وجاء في حديث آخر قوله ﷺ" ليس منا من لم يتغن بالقرآن"، أي من لم يُظهر حلاوة صوته عند التلاوة، ويتفنن في أدائها كما يليق بعظمة الكلام المقروء. والمقصود بالتغني هنا ليس التطريب المجرد أو التكلّف المبتذل، بل هو تحسين الصوت وإظهار ما في ألفاظ القرآن من جرس موسيقي وإيقاع بياني، يُهيّئ النفس للتدبر والخشية.

هذه الأحاديث وما شابهها تدل على أن تحسين الصوت عند قراءة القرآن ليس مجرد زينة ظاهرية، بل هو باب من أبواب تعظيم شعائر الله، واستحضار جلال الوحي، وإحياء لمعانيه في قلوب السامعين.

ومن الشواهد البليغة التي تؤكد عظمة هذا الأسلوب الرباني وما فيه من تأثير فريد في النفوس، ما أشار إليه الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، في قوله" :إذا أنشأت ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم، على طريقة التلاوة في القرآن، مما تراعى فيه أحكام القراءة، وطرق الأداء، فإنك لا بد أن تظهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء، وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن[1]."

فهذا النص يُبرز بوضوح الأثر العميق الذي يحدثه القرآن في المتلقي، ليس فقط من جهة المعنى، بل من جهة النظم والإيقاع والأداء، إذ إن أسلوب القرآن إذا جُرّد عن ألفاظه الإلهية ووُضع على غيره من كلام الفصحاء، افتضح القصور، وظهر التفاوت، وسقطت الكلمات عن تلك الرتبة السامية التي لا يرقى إليها كلام بشر. وهذا في ذاته برهان جديد على الإعجاز، وعلى أن للقرآن سلطانًا على القلوب لا يضاهيه فيه شيء، إذا قُرئ كما أُمرنا: بصوت حسن، وتغنٍ خاشع، وتدبّر حاضر.

ويقول الباقلاني رحمه الله: "واعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب...".[2]

ويقول الدكتور جورج حنا في كتابه "قصة الإنسان": "إنه لا بد من الإقرار بأن القرآن، فضلا عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو أيضا كتاب لغة عربية فصحى، وللغة القرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة".[3]

ويقول روم لاندو: "إن بين آيات قصار السور ترابطًا باهرًا، له تأثيره الوجداني، برغم أنه ليس ثمة أي وزن نظامي".[4]

---

[1] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن احمد بن عبد القادر الرفاعي اعجاز القران والبلاغة النبوية للرفاعي(دار الكتاب العربي بيروت،1425هـ-2005م)،148

[2] الباقلاني اعجاز القران ،184 مصدر سابق

[3] ماذا قالوا عن القران الكريم_(4) طائفة من شهادات العلماء والمفكرين بعظمة القران الكريم، عماد الدين خليل، www.tujomanquran.com

[4] قالوا عن القرآن ،الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

ويقول هنري سيرويا في كتابه "فلسفة الفكر الإسلامي": "القرآن من الله بأسلوب سام رفيع، لا يدانيه أسلوب البشر".[1]

ويقول الدكتور سيدني فيشر في كتابه "الشرق الأوسط في العصر الإسلامي": "إن القرآن كلام الله، يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته، حين يتلى عليه بصوت مسموع". ويقول جاك ريسلر في كتابه "الحضارة العربية":

"كان في القرآن فوق أنه كتاب ديني خلاصة جميع المعارف، وظل زمنًا طويلا أول كتاب يتخذ للقراءة".[2]

وتقول عائشة برجت هوى في كتابها "البحث عن الله": "لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي".

ويصور أحد فلاسفة فرنسا مدى تأثير القرآن في النفوس: "إن محمدا كان يقرأ القرآن خاشعًا، أواها، متألها، فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان به، ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء الأولين".[3]

وتقول اللادي إيفلين كوبولد في كتابها "البحث عن الله": "إن جمل القرآن وبديع أسلوبه، أمر لا يستطيع له القلم وصفًا ولا تعريفًا".

تشير هذه الأقوال مجتمعة إلى أن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب ديني وتشريعي، بل هو أيضًا أعظم نص لغوي في تاريخ العربية، إذ ساهم بشكل كبير في ازدهارها واستمرارها. وقد تميز بأسلوب رفيع لا يُضاهى، وترابط مذهل بين آياته، خاصة في السور القصار، مما يمنحه تأثيرًا وجدانيًا عميقًا في النفوس، حتى دون التقيّد بأوزان شعرية.

وقد أجمع الكثير من المفكرين على أن أسلوب القرآن، بنغمه وروحه، يفوق قدرة البشر، ويملك أثرًا روحيًا شديدًا في المتلقي، لا يمكن وصفه أو الإحاطة به بالكلمات. كما أكدوا أن قراءته بصوت مسموع تزيد من تأثيره في القلوب، وأنه كان وما زال مصدر إلهام، ومرجعًا للمعرفة، ومصدر جذب للإيمان، بما يحمله من خشوع وجلال.

الخاتمة

بعد دراسة الظواهر الصوتية في القرآن، يتبين أن التناسق الصوتي، مخارج الحروف، التنغيم، التكرار، الأداء الصوتي، والتلاوة تؤدي دورًا بالغ الأهمية في التأثير على القلوب. يُعد القرآن الكريم معجزةً صوتيةً بقدر ما هو معجزةٌ لغويةٌ وبيانيةٌ، حيث يتفاعل المستمع مع نغماته، إيقاعه، وتراكيبه الصوتية، مما يُحدث أثرًا عميقًا في النفس البشرية .يؤكد البحث أن بلاغة الصوت في القرآن ليست مجرد جانب جمالي، بل هي وسيلةٌ فعالةٌ للتأثير النفسي والروحي، مما يجعل القرآن كلامًا فريدًا لا يُضاهى في تأثيره على القلوب والعقول، ويؤكد هذا البحث على أن البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ليست مجرد عنصر جمالي، بل هي أداة بلاغية

[1] منقذ بن محمود السقار، دلائل النبوة،(رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة،1429هـ،2008م) 108.

[2] جاك ريسلر، الحضارة العربية، (وكالة الصحافة العربية،2020) ،30،31

[3] مناهل العرفان للزرقاني (دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1943)2/307

وروحية ذات تأثير عميق على استجابة القلوب. فمن خلال تحليل الظواهر الصوتية القرآنية، اتضح أن الإيقاع والتنغيم والفواصل الصوتية تساهم في إيصال المعاني بطرق تتجاوز اللغة المجردة إلى التأثير النفسي والروحي المباشر.

النتائج

بعد تحليل الظواهر الصوتية في القرآن الكريم ودراسة أثرها على استجابة القلب، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- الظواهر الصوتية القرآنية ليست مجرد أدوات جمالية، بل هي عناصر بلاغية ذات تأثير عاطفي ومعنوي عميق
- الإيقاع القرآني والفواصل الصوتية يعملان على تعزيز فهم المعاني، وإضفاء طابع مؤثر على النص، مما يسهم في شد انتباه المستمع والقارئ.
- التنغيم الصوتي في التلاوة يضفي على النص القرآني بعدًا وجدانيًا يسهم في تعميق الإحساس بالمحتوى.
- التناسق الصوتي في القرآن له دور بارز في التأثير النفسي والروحي
- التجانس الصوتي بين الحروف والكلمات، والتماثل في المقاطع الصوتية، يساعد في تحقيق تأثير مهدئ للقلب، مما يسهم في تعزيز الشعور بالطمأنينة والسكينة أثناء الاستماع إلى التلاوة.
- التكرار الصوتي في الآيات له أثر في ترسيخ المعنى، وإحداث تأثير وجداني قوي في النفس البشرية.
- ظاهرة المدود في التلاوة تسهم في إحداث تأثير صوتي يوصل المعاني بشكل أعمق، مما يؤثر على وجدان المستمع.
- استخدام الفواصل القرآنية بنغمات صوتية متناسقة يسهم في إضفاء الإيقاع الموسيقي الفريد على النص، مما يساعد في جذب انتباه المستمع وتحفيز استجابته العاطفية.
- علم النفس اللغوي يؤكد التأثير العميق للإيقاع والتنغيم الصوتي في القرآن على القلوب
- الدراسات النفسية حول تأثير الصوتيات أكدت أن التراكيب الصوتية القرآنية تحفز مناطق الاستجابة العاطفية في الدماغ، مما يفسر الشعور بالراحة والسكينة عند الاستماع للقرآن.
- التلاوة القرآنية بإيقاعها الخاص لها تأثير تهدئة الجهاز العصبي وتقليل مستويات التوتر، وفق دراسات علمية أجريت على استجابة الدماغ للأصوات.
- تطبيق قواعد التجويد بدقة يؤدي إلى إيصال المعنى بوضوح، مما يعزز التأثير النفسي للنص القرآني.
- الاختلاف في مقامات التلاوة يضفي بعدًا تعبيريًا يساعد في إيصال المشاعر المرتبطة بالآيات.

المصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ط4، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب

ابن منظور، محمد بن مكرم، 1956م، لسان العرب، بيروت: دار صادر

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، بدون تاريخ، إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، ط1، بيروت: دار طوق النجاة

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، 1990م، المستدرك على الصحيحين، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

الراغب، عبد السلام أحمد، 2001م، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر

الرافعي، مصطفى صادق، بدون تاريخ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي

الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1362هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، بيروت: دار الفكر

سيد قطب، إبراهيم بن حسين الشاذلي، 2003م، في ظلال القرآن، ط30، بيروت: دار الشروق

سيرويا، هنري، بدون تاريخ، فلسفة الفكر الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، 1394هـ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب

غانم قدوري، 2009م، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ط3، عمّان: دار عمار حنا، جورج، 1953م، قصة الإنسان، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية